السنة الثالثة / العدد 62 / 04 حزيران 2017

الحرية دائماً

WWW.ALHARMAL.COM

sayı 62

الحرمل

Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi | Kültür - Siyasi - 15 günde bir | ★ ★ ★ | مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

دبابة مدمرة لتنظيم داعش

هل يعني تحرير الرقة نهاية داعش؟

خرجت داعش، فكراً، من ظلمة التاريخ، ولن تلبث طويلاً حتى تعود إلى ظلمتها تلك تاركة وراءها سيلاً من المآسي.

ثمة استبدادان في العالم العربي والإسلامي، استبداد قائم على «العلمانية» بشكلها السوفياتي ولاحقاً الروسي، وآخر يستمد جبروته وطغيانه من الدين الثابت والمتوقف عند لحظة تاريخية فات أوانها، ولعل هذا الأخير يعمم سلطاته متدخلاً في شؤون الناس كافة على عكس الأول الذي يكرّس مفهومه في السياسة والاقتصاد، ويطلقه غولاً لا راد له.

بهذا المعنى فإن داعش خرجت من تلك اللحظة الميتة الروح، وتريد امتلاك السلطة بالتوحش عبر الدين. لداعش في تراثنا جذور كثيرة لعلّ أبرزها تجسده حركة الخوارج التي عملت على الإطاحة آنذاك بالإسلام الوليد ساعية بتوحشها إلى بناء إسلام آخر من خلال سعيها إلى امتلاك السلطة، وتنوّع توحشها المتجلي بقطع الرقاب وبقر بطون الحوامل. الآن لداعش جذر آخر تمثل بالقاعدة وحركة طالبان من دون أن ننسى أنظمة الاستبداد التي عملت على الترويج لوهم داعش في الخلافة لتتمكن من بعد هذا من استخدامها.

ثمة أمر آخر يجب ألا نغفله يتجلّى في التشارك المتين القائم بين المؤسسات الحاكمة، وبين المؤسسة الدينية. الهدف النهائي لهذه الشراكة يقوم على إهمال الشعوب وتجهيلها حتى ليجد من يبحث أن جزءاً من الناس وافق هواه هوى هؤلاء.

من هذه الحظيرة خرجت داعش تريد بناء دولة الوهم. مصالح كثير من الدول روجت لهذا الوهم لتأدية وظيفة قامت بها داعش على أكمل وجه. فهل آن أوان رحيلها؟

الثابت أن داعش في طريقها إلى الزوال من دون أن يعني هذا زوال الإرهاب ذي الطبيعة الدينية. قد تتبدل الهيئة الداعشية كما تبدّل شكل القاعدة، وتخرج إلى العالم على نحو آخر، لكن المنهج في مصادرة الناس وترويعها سيبقى قائماً ما لم تتبدل لغة الخطاب، وما لم تزل نظم الاستبداد، ولعلّ على رأس هذا التبدل وجوب حصول تغيير في خطاب دولتين تسهمان إسهاماً ثراً في تغذية النزوع المتين نحو الإرهاب إيران وروسيا، من دون إغفال المملكة العربية السعودية البلد الأكثر انغلاقاً في العالم.

رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد

أكثر من 226 غارة على الرقة

قصف مدفعي وصاروخي يطال البشر والشجر والحجر

الحرمل - خاص

شهدت محافظة الرقة في الأيام الماضية زيادة ملحوظة في عدد الشهداء، الذين ارتقوا جراء القصف في شقيه المدفعي والصاروخي وقصف الطيران، إضافة للشهداء الذين راحوا ضحية الألغام التي زرعها تنظيم الدولة «داعش» في مختلف المناطق التي كانت خاضعة لسيطرته، وبلغ عدد الشهداء نتيجة الغارات الجوية التي نفذها طيران التحالف الدولي نحو /85/ شهيداً منهم 40 في الرقة ونحو 45 في مناطق الطبقة وريف الرقة الغربي، فيما استشهد نحو 28 شهيداً جراء انفجار الألغام بهم، وكان من بينهم عائلات كاملة، فيما تعرض المئات لإصابات مختلفة وبتر أطراف، ومن جهة ثانية قام عناصر التنظيم بإعدام سبعة أشخاص في مناطق مختلفة من الرقة بتهم مختلفة تبدأ بتهريب المدنيين وتنتهي بالتعامل مع التحالف أو قوات قسد.

وسجل الناشطون عدد الغارات التي نفذها طيران التحالف، وبلغت خلال شهر أيار المنصر نحو 208 غارة من التحالف الدولي، و18 غارة جوية من طيران النظام والطيران الروسي، فيما تجاوز عدد حالات القصف المدفعي والصاروخي الذي تعرضت له المدينة أكثر من 165 حالة قصف، أشدها إيلاماً بدأ مع الأيام الأولى لشهر رمضان، وعلى إيقاع وقع القنابل والصواريخ كان أهل الرقة يتناولون سحورهم وإفطارهم.

وفي الأوضاع العامة تعرضت الرقة لغرق عدد من أحيائها الشمالية والغربية بالماء نتيجة تعطل أقنية الصرف الزراعي، واحتراق المحاصيل الزراعية في عدد من المواقع، أهمها حقول مزرعة الأسدية وميسلون والجلاء، فيما قام عناصر داعش بإخلاء عدد من الأحياء في شرق الرقة وشمالها وغربها (مفرق الجزرة، الطيار، المشلب، حويجة كدرو، الحصيوة)، نتيجة وقوعها ضمن مناطق الاشتباكات، فيما قام عناصر التنظيم بدفن قتلاه في قبور جماعية في حديقة البانوراما جنوب غرب المدينة، بينما استخدم الأهالي حديقة السابع من نيسان مدفناً لدفن الشهداء الذين قضوا بغارات الطيران أو بالقصف المدفعي، نتيجة تعذر دفنهم في مقابر المدينة في تل البيعة أو حطين.

وتابع الطيران الحربي قصفه للمنشآت الحيوية، فيما عمد التنظيم لتدمير جزء جديد من جسر الرشيد (الجديد)، وبات الوصول إلى الرقة محفوفاً بالمخاطر عن طريق السفن والعبارات، فيما سجلت أسعار المواد الاستهلاكية ارتفاعاً كبيراً نتيجة الحصار الذي تشهده الرقة، ووصل سعر ربطة الخبز وزن 2كغ نحو ألف ليرة سورية، فيما ارتفعت أسعار الخضار واللحوم بشكل جنوني، وسط ندرة للمال والعوز الذي تعيشه الرقة ومحيطها.

وفي هذا الإطار منع تنظيم داعش تدول العملة السورية وغيرها من العمُلات بالرقة ودير الزور، ويهدف التنظيم من هذا القرار التخلص من عملته التي لم تلقَ رواجاً ومن جهة أخرى جمع أكبر قدر ممكن من المال قبل فقدانه السيطرة على الرقة، وأبرز ما يتضمنه القرار الصادر عما يسمى (هيئة النقد – إدارة العملة) التابعة لتنظيم داعش:

1- إلزام عملة التنظيم في جميع المعاملات من بيع وشراء

2- تحديد قيمة كل قطعة نقدية خاصة للتنظيم مقابل الدولار الأمريكي

3- المحاسبة للمخالفين لهذا القرار والتطبيق على المحال التجارية والأسواق

4- منع أصحاب محال الصرافة منعاً باتاً من صرف عملة داعش الى عملة أخرى

5- إلزام أصحاب المحال التجارية على اختلافها بالتسعير بعملة التنظيم

6- تكليف فريق تحت مسمى (الرقابة والمتابعة الاقتصادية) لمتابعة التسعير والتداول ومخالفة المتأخرين او الغير ملتزمين بالقرار، بالإضافة الى اعطائهم حق تفتيش المحال والأسواق للتأكد من عدم وجود عملة غير التنظيم.

وبات الوضع في الرقة مأساوياً مع تقدم قوات سورية الديمقراطية من جهة الغرب ومن طريقين الشامية والجزيرة، ووصول قوات لواء ثوار الرقة إلى محيط حي الرميلة وسهلة البنات، وقوات النخبة التابعة للشيخ أحمد الجربا على جبهة الكرامة والحمرات ورقة السمرة باتجاه المشلب من الجهة الشرقية، وأيضاً قوات الصناديد التابعة للشيخ دهام الجربا إلى محيط السجن ومحلج الأقطان، بالتزامن مع حركة نزوح باتجاه مناطق الريف الشمالي الأكثر أمناً واستقراراً، وتجاوز عدد النازحين في مخيم عين عيسى الذي تشرف عليه قوات سورية الديمقراطية أكثر من 10 آلاف نازح.

وفي هذا الإطار حذرت منظمة أطباء بلا حدود غير الحكومية الخميس في باريس من تسارع نزوح المدنيين من الرقة معقل الجهاديين الإسلاميين في شمال سوريا مع وصول نحو 800 شخص يومياً إلى مخيم عين عيسى للاجئين على بعد 30 كلم شمال الرقة.

وأوضحت ناتالي روبرتس من خلية الطوارئ في منظمة أطباء بلا حدود لصحافيين «يصل 800 شخص كل يوم إلى المخيم» مؤكدة أن الوضع صعب بسبب قلة الوسائل الانسانية.

وفي الأسابيع الأخيرة، وصل نحو 10 آلاف شخص إلى المخيم الذي تشرف عليه قوات سوريا الديموقراطية، وهو تحالف كردي عربي يدعمه التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة.

وتابعت روبرتس «الناس يظلون عالقين داخل المخيم لأن إجراءات المراقبة والتسجيل تستغرق وقتاً طويلاً»، مشيرة إلى ظروف الحياة الصعبة بسبب الحرارة ونقص المياه والخيم، علماً أن الأمم المتحدة غير حاضرة في عين عيسى.

قصص الموت التي يعيشها أهل الرقة أكثر من مؤلمة وصادمة في ظل عدم توفر طرق آمنة لخروج النازحين المدنيين، وعدم التزام القوات المتحاربة بقواعد الاشتباك التي تنأى بالمدنيين عن أية نزاعات مسلحة.

الشهيد جاسم خرج بقسم من أهله من جهة مقبرة تل البيعة، وبعد أن وضعهم في مكان آمن عاد إلى الرقة لكي يُخرج من تبقى من أهله، وفي طريق عودته انفجر فيه لغم أرضي، وتم إسعافه إلى مشفى ميداني وهناك فارق الحياة تاركاً قسماً من

أهلـه في الرقـة والآخـر خارجهـا.

وتحـت عنـوان: «الرقـة مدينـة عشـق»، نـشر قاسـم الهنـدي وتهـاني بيرقـدار في موقـع «الرقـة بوسـت»، جـزءاً مـن معانـاة أهـل الرقـة، جـاء فيـه: قبـل فـترة مـن الزمـن، طلبـت مـن أحـد الأصدقـاء أن يبعـث لي صـوراً مـن مدينتـي الرقـة، عـلّ هـذه الصـور تـرأب صدعـا في الذاكـرة يـأبى ألا أن يتسـع اشـتياقاً لهـا.

لم يسـتطع هـذا الصديـق أن يبعـث لي سـوى صـورة واحـدة بسـبب تشـديد الدواعـش عـلى أي أحـد يصـور بحجـة تعاملـه مـع «الصليبـين، النظـام، قسـد»، صـورة واحـدة كانـت لمقعـد، مقعـد في حديقـة، في حديقـة العشـاق «7 نيسـان»، وكأنـه بهـذه الصـورة كان يصـور الغيـاب، غيابنـا جميعـاً، وانتظـار المقعـد لنـا، كي لا نبقـى انتظـاراً هائمـاً عـلى وجـه الغربـة دون مقعـد.

حديقـة العشـاق في الرقـة أكـثر مـن حديقـة وبحجـم مدينـة ووطـن كلنـا عاشـقين لـه. حديقـة العشـاق في توسـطها بـين العديـد مـن الأبنيـة والشـوارع في الرقـة، يجعلهـا عـدا عـن كونهـا مكانـاً للقـاء عاشـقين، معبـراً يمـر العشـق مـع الخطـوات بـين شـوارع الرقـة وحواريهـا. فقربهـا مـن المشـفى الوطنـي يجعلهـا ملتقـى لأملـين، أمـل أهـل المـرضى المفترشـين أرض الحديقـة آملـين بشـفاء مرضاهـم. وأمـل بجانب مـن يفـترش الأرض، لكنـه أمـل عـلى مقعـد مغطـى بالياسـمين لعاشـقين يأمـلان اسـتمرار عشـقهما.

ولتغـدو الحديقـة صلـة عشـق بـين أحيـاء الرقـة وشـوارعها، لتغـدو مشـاوير الذاهبـين والرائحـين مـن شـارع 23 شـباط والمجمـع وحـارة البياطـرة والأمـاسي، إلى حـي الفـردوس والتوسـعية والثكنـة والدرعيـة، مشـاوير معطـرة بعشـق أرض الحديقـة.

لكـن الكارهـين للحيـاة والعشـق والحـب ومدينـة الرقـة، وبحجـة «التحريـر» تـم قصفهـا بـكل همجيـة مـن طائـرات التحالـف جـواً وقسـد بـراً، ليسـقط خـيرة شـبابها شـهداء في هـذا القصـف. هـذا القصـف المعنـون زوراً بأنـه «تحريـر» مـا هـو إلا إبـادة وانتقـام مـن سـكان هـذه المدينـة، انتقـام مـن ذنـب لم يرتكبـوه سـوى أن مـر بمدينتهـم سرب مـن الغربـان الناعقـة بالدمـار. هـذا القصـف المعنـون زورا باسـم «التحريـر»، مـا هـو إلا قصـف موجـه لمفهـوم «التحريـر» نفسـه.

هـذا القصـف اسـتهداف لـكل نـزوع نحـو الحريـة، واسـتهداف للربيـع العـربي نفسـه في نزعاتـه الأخـيرة.

كان القصـف موجهـاً «لمقعـد الحديقة الشـاهد» عـلى لقـاء عاشـقين، محـولاً المقعـد الحجـري الشـاهد إلى شـاهدة قـبر لقـراءة الفاتحـة عـلى أرواح مـن نحـب.

ومـا بـين شـاهد اللقـاء، وشـاهدة المـوت، يرفـض الرقيـون سـوى أن يكونـوا عاشـقين لمدينتهـم، ليزرعـوا أبناءهـم ورداً في حدائقهـا، تعبـق مسـكاً مـن ثـورة، ومـن حريـة، ومـن ربيـع عـربي يعـود مزهـراً مـن جديـد مسـتمداً جذوتـه مـن هـذه الـورود الشـهداء، المدينـة تربتهـم بدموعنـا التـي سـتعيد للـورود ثورتهـا، وتسـتعيد حـق هـذه الـورود ممـن سرق الربيـع منهـا.

منـى فريـج الناشـطة الرقيـة تنقـل أيضـاً معانـاة أهلنـا في الرقـة، وتقـول: «ليلتـان عـلى التـوالي وأهـلي ومـن معهـم يعيشـون حالـة رعـب وتأهـب.. صـوت القذائـف ورائحـة الـدم تغتـال فرحـة رمضـان ولمـة الأحبـاب.. ونحـن هنـا نراقـب الصفحـات ونعـد الضحايـا وقلوبنـا تسـقط كل مـرة، نغـصّ في شربـة المـاء وكل لقمـة تختبـئ وراءهـا ألـف دمعـة، وكلّ ضحكـة نحاسـب أنفسـنا عليهـا، أمـا المـشي في السـوق ورؤيـة ثيـاب الأطفـال فقصـة وجـع كـبرى..

تتذكـر مـن كانـوا الفـرح في حياتـك وعيونهـم تراقـب الأكيـاس في يديـك، تتلمـس قلبـك الـذي تظنـه سـقط في الطريـق فتجـد نزفـه قـد تسـرب حتـى وصـل حـدود الثكنـة وبـاب بغـداد والسـور القديـم وانتـثر عـلى أعمـدة الجسريـن المهدمـة.. تركـض خلـف أجـزاء جسـدك الهاربـة منـك، فتقـودك إلى جامـع النـور ودوار الادخـار وحـارة السـخاني وجامـع الشراكسـة وشـارع سـيف الدولـة..

أي وجـع هـذا الـذي نغفـو ونصحـو عليـه نحـن المعمديـن بعشـق الفـرات.. تفتـح إحـدى الصفحـات فيصرخ كل مـا فيـك.. يـا إلهـي.. أي وجـع يعيشـه أهلنـا في الرقـة.

مـن القصـص المفجعـة أيضـاً، يقـول أحـد أهـل الرقـة: بعـد جهـد وعنـاء كبـير تـم إقنـاع الأب بمغـادرة مدينـة الرقـة، إذ كان يبلـغ مـن العمـر أكـثر مـن 70 عامـاً ويعـاني مـن أمـراض عـدة، تجعـل مـن حركتـه صعبـة جـداً في التنقـل، اتجهـت العائلـة نحـو مقـبرة تـل البيعـة حيـث يعـد عبـور سـكة القطـار، هـو المرحلـة الأكـثر خطـورة في رحلـة النـزوح، لأنـه يتطلـب السرعـة في التنقـل، اتفقـت العائلـة في حـال تفرقهـا أن يكـون اللقـاء في مخيـم شـنينة، وفي المحاولـة الأولى للهـروب تمكـن الابـن وعائلتـه مـن الخـروج سـالمين، فيـما عجـز الشـايب عـن الخـروج، في تلـك اللحظـات مـرّت سـيارة الحسـبة التابعـة لتنظيـم داعـش، وسـألوا الرجـل: إلى أيـن أيهـا الشـيخ، فقـال أنـا ذاهـب إلى المقـبرة، فأشـاروا إليـه أن المقـبرة مـن الاتجـاه المعاكـس، فقـال: كـوني كبـير في السـن فأنـا أمـشي مـع السـكة حتـى أصـل إلى المقـبرة، تابـع الشـيخ سـيره محـاذاً السـكة حتـى وصـل مقـبرة تـل البيعـة، وبـات ليلتـه بـين القبـور، وفي الصبـاح عـاد إلى منزلـه ليسـمع بعـد يـوم أو اثنـين عـن استشـهاد عائلـة ابنـه بالكامـل بانفجـار لغـم أرضي أثنـاء خروجهـم مـن الرقـة.

ما بين هلالين.. أضعت جزءاً من ذاتي

عروة المهاوش

الهلال الرابع لشهر رمضان المبارك، وأنا أعيش اللجوء في مدينة قد تقتل بعضاً من الحنين وتحييه مرة أخرى، لوطنٍ غادرناه ولم يغادرنا. حين غادرت مدينتي للمرة الأولى في نهاية عام 2013 كانت وجهتي الأولى والأخيرة الملاذ الوحيد الآمن تركيا. كان سفري مقرراً مع أصدقاء الثورة (عمر- حسن) لكنهم سبقوني بعدة أيام مما اضطرني للتأخير، والبحث عن شخص يسافر معي كونها المرة الأولى التي أزور فيها تركيا، شاءت الظروف حينها أن يكون رفيق سفري الشهيد الحي أحمد الأصمعي ومنهل عبد الرزاق.

في مدينة أورفا حططت الرحال لأستقر فيها مع كل صراعاتي مع ذاتي، حين يأتي ليلها وليل أورفا يأتي مبكراً جداً، في الساعة الخامسة مساءً تغلق أغلب المحلات أبوابها، ولا يبقى إلا القليل فاتحاً أبوابه، فيكون البيت وجدران الغرفة، وسقفها المزين بالديكور هو الفضاء الذي أبحر به نحو عالمي، وذكرياتي وصراعي مع ذاتي، وكيف انتقلت من دائرة الحرب والحركة الدائمة وعدم النوم إلا لماماً والركض مسابقاً الزمن والمسافات حين تقصف طائرات النظام مدينتي الوادعة، وكيف انتقلت من مصوّر ومسعف ومرشد للناس وداعم نفسي دون أن أحصل على دورات في الدعم النفسي، والتي اكتشفت لاحقاً أنها تحظى بدعم أوربي للكثير من المنظمات العاملة على الأراضي التركية. كان دعمي النفسي من باب إنساني يوجهني فيه قلبي فقط، في رمضاني الأول كنت وحيداً مع العشرات في بيت واحد فلكل منّا عائلته التي تركها في مدينة الرقة، نصنع البسيط من الطعام بكسل، ونأكل لقيمات منه بغصة كبيرة ممزوجة حيناً بملح العيون، وتمر الأيام تتسارع كالنبض في القلب لتعيد الحياة دورتها لكنها لن تعيدنا إلى ما كنّا عليه سابقاً. بعد سنة كان وقع الحنين أقل حين أكلت الفول السوري للمرة الأولى، وحين تذوقت الفلافل في مطاعمها السورية التي غزت الأسواق في حين كنت ورفاقي نبحث في المحلات التركية عن علبة (طون أو سردين) دون أن نجد، أيعقل أن نكهة الطعام السوري قد تخفف من ألم الغربة!! أيفعل فينا قرص من الفلافل أو فطيرة زيت وزعتر ما قد يعجز عنه كل ما يعترينا من أحاسيس ومشاعر تجاه ما فقدناه!!

حين يقترب الهلال وككل فقراء بلدي يعتريني الهم الكبير الممزوج ببعض الفرح لقدوم هذا الشهر الفضيل، وعائلتي الصغيرة مجتمعة معي في بيت واحد ذو جدران كثيرة، كيف سنتدبر أمورنا ومعيشتنا وطعامنا وشرابنا في هذا القحط الإنساني الذي نحياه ضمن مجتمع بات معظم ما يفعله تجاه الآخر مطبقاً القول (اللهم أسألك نفسي) في حين لا ينساك فيه جارك التركي برغيف خبز والكبة النية الشهيرة بحدتها، تحملني ذاكرتي قليلاً نحو مدينتي الرقة قبيل موعد الإفطار بقليل، أطفال جيراني وكل منهم يحمل صحناً بيده ليطعم جاره، وجاره يطعم الآخر مما رزقة الله، وأذكر عدد الصحون على السفرة معظمها أتى بها أطفال فرحين بما يقدمون.

هنا في مدينة أورفا أبحث عن هلال آخر غير هلال رمضان، هلال أحمر على الأرض يقدم للسوريين بطاقة معونات الكترونية تساعدهم على العيش بقليل من كرامتهم التي سُفحت نتيجة الحرب والنزوح، لكن الحصول عليها ليس بالأمر السهل، وليس بالأمر الصعب أيضاً، لكني لم أحصل عليها رغم تقديمي لكل الأوراق المطلوبة، ورفض طلبي للمرة الأولى، وأعدت الكرّة مرة ثانية على أمل الحصول على معونات شهرية أسوة بغيري من السوريين المتواجدين في تركيا، هذا البحث المضني عن «الهلال الأحمر» يختلف جذرياً عن ترقب هلال رمضان خلال أيام معروفة إذ أن هذا البحث طوال أيام السنة يتطلب منك الوقوف بطوابير طويلة جداً شريطة أن تترك كرامتك في بيتك قبل الخروج إلى مكاتب التسجيل في حين يأتي مندوبو الهلال الأحمر التركي لبيوت الكثير من السوريين دون عناء أو إهدار لتلك الكرامة، ربما تكون الدنيا حظوظ وقد رضيت بما قُسم لي، لكن أبنائي يحتاجون كغيرهم للطعام والملبس والتعليم أيضاً، وأنا أحتاج إلى الحفاظ على ما تبقى لدي من عزة نفس يتصف بها معظم السوريين رغم كل ما يقال عنهم.

سيكون الهلال في ساحة بيتنا وتحت شجرة التين الكبيرة أجمل ما تراه عيناي قبل أن أدفن في مقابر السوريين المخصصة بمدينة أورفا فتلك هي وصيتي لأهلي.

مطبخ الرقة الخيري: وجبات إفطار صائم لنازحي الرقة

الحرمل - خاص

شـهدت عمـوم مناطـق محافظـة الرقـة عمليـات نـزوح غـير مسـبوقة للسـكان نتيجـة العمليـات العسـكرية، والقصـف غـير المسـبوق الـذي تشـهده مناطـق الاشـتباكات خـلال الأيـام الماضيـة، بـدأت حركـة النـزوح أولاً مـن مناطـق ريـف حلـب الشرقـي باتجـاه المنصـورة غـرب الرقـة، وعـين عيسـى شـمال الرقـة، ثـم بـدأت حركـة نـزوح جديـدة مـن مناطـق الاشـتباكات في محيـط الرقـة التـي تجـري بـين قـوات سـورية الديمقراطيـة وقـوات داعـش، ثـم نتيجـة تقـدم قـوات سـورية الديمقراطيـة وحصارهـا لمدينـة الرقـة، وتقـدم قـوات النخبـة مـن جهـة الـشرق، وقـوات لـواء ثـوار الرقـة مـن الشـمال، وتعـرض المدينـة لموجـة غـير مسـبوقة مـن القصـف المدفعـي وقصـف طـيران التحالـف أدى لاستشـهاد العـشرات مـن المدنيـين، ونـزوح عـدد كبـير مـن أهـالي الرقـة باتجـاه الريـف الشـمالي، ونتيجـة عـدم وجـود منظـمات مدنيـة قـادرة عـلى تلبيـة احتياجـات النازحـين، قـام مجموعـة مـن أهـالي الرقـة بإنشـاء مطبـخ الرقـة الخـيري، الـذي يقـدم وجبـات جاهـزة لإغاثـة النازحـين في مناطـق ريـف الرقـة الشـمالي، ومـع حلـول شـهر رمضـان المبـارك قامـت مجموعـة مطبـخ الرقـة الخـيري بتقديـم مـشروع إفطـار صائـم، يـوزع مـن خلالهـا أكـثر مـن 1000 وجبـة إفطـار يوميـاً.

ويوقـل الناشـط أ. ش: في اليـوم السـادس مـن رمضـان ونتيجـة توسـع نشـاطنا قمنـا بتوزيـع الوجبـات لنحـو 350 عائلـة، تضمنـت أكـثر مـن 1500 شـخص، وتتضمـن الوجبـة إضافـة للطبـق الرئيـسي الـذي يحتـوي عـلى لحـوم الضـان أو الفـروج، الحسـاء والـرز أو البرغـل والخبـز.

ويضيـف: نعتمـد في الصرفيـات عـلى فريـق عمـل متكامـل مـن الطباخـين والسـائقين وفريـق مـن الموزعـين الذيـن يشرفـون عـلى تقديـم هـذه الوجبـات لأهلنـا النازحـين في مناطـق الريـف الغـربي والشـمالي، ومصاريـف الطبـخ تتضمـن الزيـت والسـمن والتوابـل والأطبـاق الكرتونيـة وأجـور النقـل وأجـور عـمال الطبـخ، وبعـض المتفرقـات، وأهـم المناطـق التـي يتـم توزيـع هـذه الوجبـات فيهـا، قـرى «صفيـان» و«المنـكلي» و«رجيـمان» و«شـنينة» و«كفيفـة» و«المهـرة» ومخيـم «بـاب الهـوى» و«المبعوجة» و«الواسـطة»، و«لوبيـدة»، و«الفـارس»، و«أبـو خـرزة»، كما تجـدر الإشـارة إلى أننـا نتلقـى الدعـم المـالي مـن أهـالي الرقـة المقيمـين في تركيـا ودول الخليـج وأوربـا، وبجهودهـم الشـخصية نسـتمر بتقديـم واجـب الضيافـة بالحـدود الممكنـة لأهلنـا في مناطـق نزوحهـم.

مطبـخ الرقـة نقطـة مضيئـة في سـماء محافظـة الرقـة، تؤكـد أن الخـير مـا زال عامـراً لـدى أهلهـا الطيبيـين، إن كانـوا مـن الداخـل، أو في الخـارج في أوربـا ودول الخليـج وتركيـا، ومـا زالـت هـذه النقطـة محـط أنظـار الجميـع، وتؤكـد أيضـاً أن الرقـة وأهلهـا هـم أهـل الكـرم والجـود والإحسـان، والألم يوحدهـم مثلـما الفـرح عندمـا يلـم شـملهم.

تل أبيض.. عرب وكرد وتركمان وسريان وأرمن وإدارة ذاتية

تقرير خاص ـ عين المدينة

قسمت سكة القطار المعروف بقطار الشرق السريع (برلين-البصرة) قرية تل أبيض، في الأعوام الأخيرة من العقد الأول للقرن العشرين، إلى جزئين، صار الجزء الشمالي في تركيا بعد رحيل العثمانيين وترسيم الحدود، وظل الجنوبي في سورية. وفي كليهما تسكن عائلات من عشائر المشهور (فرع من البقارة) وجيس (قيس) والبوعساف (فرع من الدليم) والبوخميس والنعيم.

محطة القطار التي أنشئت مع السكة جلبت سكاناً آخرين من عرب العشائر السابقة ومن السخانة التجار، ثم، وبعد 1915، من اللاجئين الأرمن ومن السريان الذين نزلوا جنوب المحطة بقليل وفي القرى القريبة، قبل أن يجمعهم الفرنسيون أثناء الانتداب في بقعة واحدة، ويمنحوا كل عائلة أرمنية أو سريانية قطعة أرض منها بعد تخطيطها، حتى صارت البقعة مركزاً للقرية التي سرعان ما تحولت إلى بلدة وهجرت البيوت القديمة بجانب السكة. ازدهرت تل أبيض بعد ذلك مع الحرف التي جلبها الأرمن، وأسهم السريان في استصلاح مساحات شاسعة من الأرض في القرى القريبة، وأدخلوا، في الأربعينات والخمسينات، الآلة إلى العمل الزراعي. آنذاك كان نصف سكان البلدة أو أكثر من المسيحيين، ومقابل جامع واحد بناه إبراهيم النقشبندي، الشيخ الوافد إلى البلدة في العام 1962، بنيت قبله ثلاث كنائس، أغلقت اثنتان منها مع هجرة الأرمن والسريان المتصاعدة في الستينات والسبعينات إلى حلب ولبنان، وظلت كنيسة الأرمن مفتوحة حتى وقت قريب.

يرجع كثير من الرجال الأكبر سناً من أهل تل أبيض الوجود الكردي في المدينة وجوارها إلى أربعينات القرن المنصرم. وقد بدأ، حسب ما يقولون، بشراء عائلات كردية قادمة من عين العرب/كوباني أرضاً شاسعة في قرية اليابسة 4- كم غرب تل أبيض- ثم اتسع في العقود اللاحقة، وخاصة في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، كفلاحين وعمال على الآلات الزراعية وأصحاب مهن (مع مغادرة الأرمن المتصاعدة) وتجار صغار، حسب ما يقولون، وشاهدهم في ذلك، إلى جانب الروايات، قيود نفوس معظم كرد المدينة قبل الثورة، المنسوبة إلى محلات أخرى غير مدينة تل أبيض، منها اليابسة وسلسلة القرى الممتدة غرباً حتى عين العرب. يجادل الأكراد في الروايات ويعرضون وقائع موازية تتعلق بأسماء ملاك أرض كبار أقاموا في المدينة في سنوات أسبق من التاريخ المذكور. إلى جانب العرقيات السابقة سكنت تل أبيض أيضاً عائلات تركمانية الأصل جاء معظمها من قرى التركمان جنوب شرق المدينة، وعرب آخرون يعرفون بالهنادة جاء أجدادهم إلى المنطقة ضمن حملة إبراهيم باشا المصري على سورية في العام 1831. وعلى أي حال كان المشهد السكاني التقريبي لمدينة تل أبيض قبيل الثورة متوزعاً على نسب تجعل العرب أغلبية بأكثر من 85% ثم الأكراد بـ10% والتركمان بـ4 % والأرمن بـ1%. وهو تقريب لن يرضي معظم الأطراف، لكنه قد يسهم في تصور التركيب المجتمعي العام. وسيتغير حتماً عند تناول تل أبيض كمنطقة واسعة (5 آلاف كم2 تقريباً) تضم مئات القرى الكبيرة والصغيرة ذات الأغلبية الكردية في الغرب، والعربية في الشرق والجنوب، إضافة إلى 5 قرى تركمانية في الجنوب الشرقي. لتصير «ثلثان للعرب وثلث للكرد والتركمان والأرمن»[1].

لم تكن هذه النسب والأرقام موضوعاً إشكالياً في يوميات السكان على تعدد قومياتهم. وظهرت ملامح التوجس الأولى بعيد تحرير المدينة من النظام في أيلول 2012، تزامناً مع تنامي حضور حزب العمال الكردستاني PKK عبر امتداده السوري حزب الاتحاد الديمقراطي pyd في المجتمعات الكردية، وخاصة في مدينتي عين العرب/كوباني ورأس العين غرب وشرق تل أبيض. لعبت مظاهر الفوضى، متمثلة في سلوك بعض كتائب الجيش الحر، ومظاهر التطرف لدى جبهة النصرة النامية هي الأخرى في المنطقة آنذاك، دوراً في ولادة المخاوف لدى الأكراد، قبل أن يعمقها بالنسبة إليهم الصراع المندلع في رأس العين ابتداءً من كانون الأول 2012 والأشهر اللاحقة له، بين جبهة النصرة -ثم داعش- وبعض كتائب الجيش الحر من طرف وحزب الاتحاد الديمقراطي وتشكيلات عسكرية كردية أصغر من طرف آخر. رغم ذلك ظلت تل أبيض تنعم بسلام أهلي خلال هذه الأشهر، ولم تسجل فيها حوادث تذكر على خلفية عرقية، وشارك العرب والكرد والتركمان والأرمن في مجلس المدينة المحلي بتمثيل مرضٍ للجميع، إلى أن انتقل الصراع إلى المدينة في تموز 2013 حين حوصر أمير «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش)في تل أبيض، خلف ذياب الحلوس، الملقب بـ «أبو مصعب» ومرافقوه، في كمين نصبه له pyd ليحاصر في مدرسة بقرية اليابسة، فترد داعش وشقيقتها النصرة بحملة اعتقال عشوائية طالت مئات الأكراد في المدينة كرهائن، إلى أن تدخلت الوساطات والمفاوضات ليطلق كل طرف أسراه. في الأيام التالية قادت داعش

حملة تهجير واسعة لأكراد المدينة، وفجرت منازل متهمين بالانتماء إلى خصمها pyd، وامتد التهجير في وقت لاحق إلى 15 قرية كردية غربي تل أبيض.

كان الأكراد أول ضحايا داعش في المدينة، قبل أن تتسع القائمة لتشمل الجميع بعد سيطرة التنظيم في كانون الثاني 2014، ليهرب ناجياً بحياته معظم من شاركوا في أنشطة ثورية أو عامة ما لم يظهروا ولاءهم للتنظيم. خلال حكمها تل أبيض، وكما في أي مكان حكمته، أرهبت داعش الناس وحاولت توريط أوسع شريحة ممكنة منهم بجرائمها بطرق شتى كان منها، في تل أبيض، تعزيز المخاوف العرقية لدى العرب من الأكراد، لاجتذاب المزيد منهم إلى صفوفها، خاصة عقب هزيمتها في معارك عين العرب/كوباني ثم تآكل نطاق سيطرتها التدريجي شرقي تل أبيض وغربها. لم تفلح محاولة داعش تلك، إذ لم تظهر أي حالات تضامن شعبي معها مثلما لم تظهر أي حالات ترحيب بأعدائها، فاختارت الأغلبية الحياد عملياً حين تدفق الآلاف من سكان المدينة والقرى المجاورة منتصف حزيران 2015 عبر المعبر الحدودي إلى الأراضي التركية، عندما وصل مقاتلو pyd وحلفائه من التشكيلات العربية ضمن ما كان يعرف وقتها بغرفة عمليات «بركان الفرات»، كلواء ثوار الرقة ولواء ثوار التحرير. بطرد داعش من تل أبيض عاد الأكراد المهجرون، وفر منها أضعافهم من العرب والتركمان خوفاً من المعارك ومن انتقامات عشوائية ربما تطالهم، الخوف الذي عززته قائمة مطلوبين أصدرها pyd شملت 2500 من السكان. عاد الكثيرون بعد ذلك، عدا نسبة تزيد -بحسب تقديرات ناشطين محليين من العرب- على 30% من عرب المدينة وتركمانها. وليس كل هؤلاء خائفين من pyd أو من إدارته الذاتية، بل إن ثلثهم تقريباً ظلوا بعيدين عن ديارهم بدوافع أخرى، مثل توافر فرص عمل وارتباطهم بنمط حياة مستقر (نسبياً) في مدن لجوئهم التركية.

بذل pyd جهوداً كبيرة ومدروسة بما يحقق غاياته السياسية، لتأسيس نمط حكم خاص به مستنسخ من تجاربه في مناطق سيطرته الأخرى، مع مراعاة خصوصية تل أبيض ولو بقدر محدود. فأسس بداية ما عرف بمجلس الأعيان، الذي ضم أعضاءً من كل المكونات العرقية، قبل أن يتلاشى لحساب تشكلات جديدة. وقلص الحزب حدود المدينة وتوابعها المباشرة إلى نهر الجلاب (3 كم شرق) وأتبع ما يليه لرأس العين. وأتبع المدينة ذاتها لكانتون كوباني في خطوة أثارت استياءً واسعاً نظراً لما تحمله من زيادة عددية لصالح المكون الكردي، وتقليلاً من العرب بإبعاد القاطنين منهم شرق الجلاب إلى وحدة إدارية أخرى. تشرح السيدة زليخة عبدي، الرئيسة المشتركة للإدارة الذاتية في تل أبيض، لـ «عين المدينة»، هيكلية الإدارة المطبقة بأنها تتألف صعوداً من ثلاث مستويات؛ «الكومينات» أو مجالس القرى ثم مجالس الخطوط ثم مجلس المدينة. وهي مجالس تنفيذية تتبع للإدارة الذاتية وتتصل في الوقت ذاته بـ «دار الشعب»، التي هي ليست برلماناً كما يوحي الاسم، بل وحدة إجرائية تتعلق بتنظيم شؤون السكان ذات الطابع المركزي مثل البطاقات الشخصية والعقارات وغير ذلك، وتتبع هي الأخرى للإدارة. وتقول عبدي: «نحن نعمل ضمن المجتمع الطبيعي» الذي «يمنح الراحة لكل مواطن»، وتكمل في تفسير الأدبيات المستلهمة من تعاليم عبد الله أوجلان مؤسس حزب العمال الكردستاني في كتابه «الأمة الديمقراطية». تنفي عبدي، التي تبدو متفائلة بمستقبل إدارتها، التهم بالتمييز والتهجير وغيرها. وتؤكد أن «سورية وطن للجميع». وترفض التشكيك في طريقة تأسيس الإدارة في تل أبيض، من ناحيتي التعيين أو الانتقاء على أساس الولاء. وتستشهد بعمليات الانتخاب التي بدأت في القرى الآن ثم تصعد إلى مستوى الخطوط ثم المدينة مرحلة وراء أخرى. ترفض عبدي أيضاً الاتهامات بتواطؤ pyd والإدارة الذاتية مع النظام، وتقول إنها هي ذاتها مفصولة من وظيفتها في التعليم، وإن العلاقات الحالية مع النظام هي مجرد تحالفات تكتيكية لا أكثر، وتؤكد أن المواجهة معه قادمة في يوم ما، ولكنها تقرّ أن هذا «التحالف التكتيكي» أفقدهم تأييد شرائح واسعة من السوريين.

في الوسط الرافض للإدارة الذاتية من أهل المدينة تتشابه المآخذ العميقة عليها بأنها غير شرعية لأنها فرضت بالقوة، وأنها واجهة شكلية لأن أعضاءها مجرد أدوات بيد الحزب. ويحدد عبد اللطيف الكجل، وهو عضو مكتب تنفيذي سابق لمحافظة الرقة (قبل الثورة) ووجه اجتماعي معروف، ثلاث ملاحظات على الإدارة القائمة هي: تعيينها من قبل «سلطة استيطان واحتلال»، وأن أغلب الأعضاء العرب فيها مكرهون على المشاركة خوفاً من مصادرة الأملاك والملاحقة والاعتقال بتهم مفتراة، وهو يتحداهم أن ينفذوا أي مقترح يخالف رغبة الحزب وسياساته، وأخيراً أن أعضاء الإدارة ورؤساء مكاتبها يفتقرون إلى الكفاءة: «فكيف لمحكوم جنائي سابق أن يكون رئيساً مشتركاً للإدارة؟! ولسائق جرار زراعي أي يكون رئيساً لدار الشعب؟! ولتاجر أسمدة أن يكون رئيساً للجنة الشؤون الدينية؟!»، حسب وصف الكجل الذي يشكو من مظالم كثيرة لحقت به فقط لأن أولاده كانوا في الجيش الحر، إذ صادر pyd منزله وأرضه الزراعية التي تمتد على مساحة 800 دونم، كما يقول. ويسأل عن مصير المفقودين في معتقلات الإدارة الذاتية، ومنهم بشار خليل

الحسين، قريبه الشاب الذي اعتقل بوشاية كاذبة منذ تموز 2015 ولم يعرف مصيره حتى الآن، ويرجح أنه مات تحت التعذيب. من جانبها تنفي عبدي هذه الاتهامات وتقول إنهم أصدروا عفواً عاماً شمل حتى بعض من ارتبط بداعش، وإن أي متهم يعرض على محكمة الصلح أولاً ثم على محكمة العدالة. ووعدت معدّي هذا الملف أنها ستتابع شخصياً قضية بشار. بينما يقلل مناهضو الإدارة من أهمية وعودها الكثيرة دون أن يشككوا بشخص الرئيسة المشتركة لأنها، حسب ما يقولون، «دون سلطة فعلية»، إذ تعود السلطة لـ «كوادر قنديل العاملين وراء الستار».

يشير عبد اللطيف الكجل إلى أزمة ستظل مؤثرة في المدينة لوقت طويل، وهي المشكلات التي خلقها pyd على أساس قومي. ويتأسف على الماضي الأخوي بين الجميع. ويتذكر المكانة الهامة والأدوار الخيرة لشخصيات كردية، تمكن بعضها من حل مشكلات بين عشائر عربية عجز عن حلها شيوخ عشائر كبرى. ويأمل ألا تتضرر الأخوة الراسخة بين العرب والكرد والتركمان رغم ممارسات سلطة الأمر الواقع.

وفي جلسة كبيرة ضمت عشرة أشخاص، معظمهم خريجو جامعات، من أهل تل أبيض اللاجئين في تركيا، قالوا جميعاً إنهم لا يستطيعون العودة خوفاً من الاعتقال، وإنهم ملاحقون اليوم من pyd مثلما كانوا ملاحقين من داعش، ولم يقبل أي منهم ذكر اسمه خوفاً على أفراد عائلاتهم المتبقين في تل أبيض. يشبّه حقوقي من الحاضرين أساليب الاتهام وفبركة الأدلة لدى pyd بأساليب داعش والنظام. وفي عهد الاثنين، ثم في عهد pyd اليوم، كانت الخدمات متوافرة والأمن العام مستتباً لكن دون حريات أو حقوق راسخة للفرد، فالأنظمة الشمولية جميعها تفرض هذا النوع من النظام كما يقول. أما المعلم السابق فيأسف على الحال التي آل إليها التعليم وعلى فرض اللغة الكردية في مناهج الطلاب الأكراد لمجرد تنفيذ سياسات الحزب ودون تفكير في مستقبل هؤلاء الجامعي. ويقول مسؤول تربوي سابق إن pyd يعبث هو الآخر، مثلما عبثت داعش، بالتعليم، وينظر إليه من المنظور ذاته كوسيلة لخلق أجيال مغسولة الدماغ، وإن مناهج الإدارة الذاتية «القاصرة والمرتجلة والمسيسة» تكمل ما بدأته داعش بالقضاء على جيل بأكمله عبر منهاج «كان تحت الطباعة في الموصل، بمنهاج للـpyd ما يزال تحت الطباعة أيضاً». تشرح عبدي عن مناهج الإدارة (غير المكتملة حتى الآن) «التي حلّت فيها الديمقراطية محل القومية»، والتي سيدرسها الطلاب العرب والأكراد كل بلغته احتراماً لثقافة كل شعب. ولا تبدي قلقاً من مسألة الاعتراف بشهادات إدارتها في جامعات «روج آفا» المستقبلية أو في «ألمانيا وإنكلترا وفرنسا» وغيرها من الدول التي اعترفت -كما تقول- بهذه الشهادة بعد افتتاح ممثليات للإدارة هناك. ولا تعدّ فرز الطلاب على أساس عرقهم في منهاجين مختلفين عامل عزلة وتقسيم، لأنهما سيكونان في المدرسة ذاتها وإن في غرف صفية مختلفة.

في شوارع تل أبيض وبيوتها، بعيداً عن القائمين على مشروع الإدارة ومؤيديها وجبهة رفضها الواسعة في أوساط اللاجئين، تبدو الحياة اليومية عادية، رغم الأعلام والصور والشعارات التي تعبر عن سلطة pyd على المدينة وأهلها. يقول شاب عربي متعلم، طلب إغفال اسمه، إن الإدارة الذاتية نجحت في تأمين الحد الأدنى من النظام في قطاع الخدمات العامة وتوفير المستلزمات الرئيسية للسكان وضبط الأسعار. لكن المشكلة الرئيسية بالنسبة إليه هي غياب الحريات وتغول جهاز مكافحة الإرهاب H.A.T الذي يعمل في الخفاء ويعتقل من يشاء لأدنى شبهة أو وشاية دون أن يتمكن أحد من السؤال عنه، وكذلك فرض التجنيد الإجباري على الشباب ضمن ما يعرف بواجب الدفاع الذاتي، وعودة أتباع النظام ومخبريه. يؤكد الشاب أن الخوف من الملاحقة والتهمة السهلة بالعلاقة مع داعش دفعا كثيراً من الشباب العرب إلى الالتحاق بالفصائل العربية التابعة لـ«قوات سورية الديمقراطية» (قسد) رغم معرفتهم بتبعيتها لنظام الأسد، مثل لواء صقور الرقة ولواء أسود الفرات، أكبر هذه الفصائل. ويقول إنه تفاءل أول الأمر بمشاركة فصائل من الجيش الحر في تحرير تل أبيض من داعش، قبل أن يكتشف المشروع الحقيقي لـpyd وسياساته التعسفية في التهجير والتغيير الديمغرافي وفرض ثقافة غريبة عن المجتمع وفق رؤى شخص واحد. ويقول الشاب إنه يذهب إلى المنطقة التي يسيطر عليها لواء ثوار الرقة بحماية أمريكية من pyd جنوب عين عيسى «لاستنشاق هواء الحرية ورؤية علم الثورة يرفرف مرة أخرى» ليستعيد بعض الثقة بالمستقبل المجهول الذي ينتظر المدينة.

شهر رمضان بين أسى اللجوء وحلم العودة

صلاح عيسى ـ مخيم جيلان بينار

رمضان أقبل فالأنوار تأتلق، هذا الهلال أتى يا حسنه الغسق، يترجل ذلك اللاجئ الفقير لوطنه أمام باب خيمته المصنوع من القماش، أو من بقايا أعمدة حديدية قد أتى بها من هنا وهناك، كي تكون له ستراً، ومأمناً من ريح عاتية، أو من قط جائع يقاسمه زاده، أو من فأر لعين يتسلل إلى الداخل ليفسد سروره بمروره القذر أمام وجهه.. لو أبصرته لوجدته يرفع رأسه للسماء خشية من غيمة سوداء... تداهم شقته التي صنعت من قماش يخشى سطوة الشتاء، وحرارة نار تطرحه مريضاً لا يشفيه دواء.

لا يغيب منظر سوريا الجميل عن مرمى عيون هؤلاء اللاجئين المساكين، الذين ينحدرون من مختلف الأصقاع، التي تمل من بسمة أمل تشرق في خدها الجميل الذي ما لبث أن سرق جماله بنصال كائدة لا ترحم الخدود وعيون تلتهمها بشغف.

عندما تمر السنوات العابثة الحافلة بالأمل النازع للعودة، تسلب فكره، وتشل حركته فسرعان ما تمر الشهور، وتُرشِح من بينها شهرها الروحي رمضان سيد الشهور الذي ينبثق من ضلع السنة الطويلة، ليسكب رحماته على الأسرى من البشر المعذبين في كل صعيد.

وهنا بين دفات اللجوء يطرق مسمار الأمل بقدوم شهر الصيام والعمل وتشرق شمس الراحتين اللتين يتخللهما لسان يتضرع للرحمن متوسلا فرجاً قريباً على عبد أواب قد عذبه القدر طالباً هذه المنة من رب البشر فأوجزت ذلك ببيتين من الشعر آملاً فرجاً قريباً على كل من ألقت به الأمواج والرياح والزلازل والبراكين خارج روحه الثانية وطنه السليب أختم فيهما مقالي:

قال الإله فإن دعوتم أستجب
فرفعت كفي راجيا بليال
يا رب نصرك نحن أمة أحمد
من لي سواك يجيب عند سؤالي

إلى بلدي من قلبي سلام

عبد القادر ليلا

يبدو أن معركة السيطرة على الرقة قد نضجت وحان قطافها، وعلى ذلك تتصارع القوى والدول والأحلاف لمسك الأرض وادعاء ملكيتها، وكأنها أرض أيتام بين اللئام.

كل المؤشرات تقول إن فاتورة الدمار والدم ستكون كبيرة بما أنها من حساب الرقة وأهلها

فلا مشكلة عند القوى المحررة فرصيدها دون حسيب أو رقيب.

لا يختلف اثنان على بشاعة تنظيم داعش ووحشيته.. وقد أثبت ذلك قولاً وفعلاً، لذلك فخصومه من القوات لا يختلفون عنه كثيراً بتوحشهم، ولكن سفالة التنظيم وبهيميته جعلت من خصومه نبلاء وفرسان... يرمون القنابل على المدنيين، ويقولون ما أحلانا أو يهدمون بيتاً فوق رؤوس ساكنيه، ويرددون ما أكرمنا.

تنظيم داعش جعل من المجرمين رحماء من فرط إجرامه، والجميع يتسابق على ذبح المواطنين،

ويقول: أنا قتلت أقل.. أنت قتلت أكثر، وهكذا دواليك... صراع بين الرقبة والسكين.

أما المحررون الجدد فهم يعرضون بيع جلد الدب قبل صيده، ويسبقون نتائج المعركة، ويعلنون نصرهم على أبناء بلدهم تارة بإنشاء مجلس للرقة دون مشورة أهلها أو وضع دستور للسوريين إلى تحديد شكل الدولة، أما المدينة العاثرة الحظ، فالطيران ينشر الموت في سمائها، وسواطير الظلام تبرق في شوارعها.

والموت والخراب ينعق في حواريها ككابوس طويل لا ينتهي لتدخل مرة أخرى هذه المدينة الصغيرة إلى دائرة الضوء العالمي، وضمن الصراع الدولي لتدخل لعبة الكبار، وتكون مكسر عصا.

فالروسي يريد كسر الأمريكي على أرضها، والأمريكي لا يريد للروسي أن يشاركه بالتهام فرصته ونصره، والتركي يبحث عن دوره، والإيراني يريد أن يخرج المهدي من فراتها، وتحيط بها المليشيات من كل جنسيات العالم من جهاتها الأربع، إضافة إلى مليشيات داعش.

الرقة تنام على الموت وتستيقظ على الموت، إنه بها مقيم. في شهر رمضان شهر الخير.. كم أتمناه أن يكون شهر خلاص من عذابات آن لها أن تنتهي.

أنظر إلى تفاصيل موتك!

إبراهيم العلوش

انظر إلى مدينتك وهي تقصف، انظر اليها وهي تتحول إلى أنقاض، حاول أن تلتقط بعض ذكرياتك فيها قبل أن ينهال عليها التراب والأحجار والأنقاض.. انظر إلى نفسك وهي تقصف، إنهم يقصفون قلبك، إنهم يقصفون ذكرياتك، إنهم يقصفون طرقاتك التي رحت وجئت فيها آلاف المرات، إنهم يمحون آثارك على الأرصفة وفي الشوارع وفي الحدائق ويزيلون المدارس التي علمتك واحتوتك طفلاً وفتى شاباً.. انظر جيداً ولا تتجاهل ما يلوح أمام عينيك في الفيديو الواصل حديثاً من الرقة.. انظر جيداً إنك تُمحى من الوجود!

كيف تستطيع أن تخلع عنك طبقات الحياة وتجلياتها في وجدانك، وأنت تنظر إلى القصف البائت في الفيديوات، ولم تشارك الشهداء رعبهم الأخير قبل أن تنقض القذائف عليهم، بعدما شلتهم بأصواتها المروعة!!

انظر إلى صور الشهداء، انظر إلى قبورهم التي حفرت على عجل، انظر الوقت الكثيف والملون بالسواد، هل شعرت بالمرارة التي يكتنزها فم الرجل الذي يحفر قبور موتاه، هل شعرت بالجثث وهي تتمدد وحيدة وبلا ملامح وبلا وصايا ويردم التراب فوقهم بشكل جماعي يحرمهم من زيارات الأهل، ومن أشجار الورد التي كان على أطفالهم أن يزرعوها لهم.. لعلهم غرباء هؤلاء الشهداء.. هربوا من موت بعيد ليصلوا إلى هذا الموت الأبعد عن مدنهم، وعن قراهم التي تركوها خوفاً من الموت.. أو ربما هم ليسوا غرباء، ولكن الوقت جعلهم غرباء في وطنهم الذي بقيوا فيه بلا أهل وبلا جيران.. أو لعلهم انفكت عراهم مع الحياة وينتظرون موتاً آخر يحتويهم في قبور جديدة.. انظر إليهم جيداً إنهم أهلك، إنهم ذاتك المطاردة بالموت.. إنها مدينتك.. إنه قلبك يتم تمزيقه علناً وأمام كاميرات الإعلام العالمية ووفق قرارات دولية، ووفق فتاوي شرعية يقتات أصحابها على الدماء وعلى الأشلاء..

انظر إليهم وهم يمحون ذكرياتك.. ويستأصلون ما تبقى من وجودك، انظر إليهم فالفيديو لم ينتهِ بعد، إنه يلتهم المزيد من أهلك ومن بلدك.. انظر إليهم وتوقف للحظة عن اللوم وعن العتاب وعن قذف الآخرين بالتهم ونسيان نفسك، فقد تركت لهم مدينتك وتركت أهلك.. وتركت ذكرياتك ولم تعد تحتمل مشاهدة الفيديو المتواصل في عرض مشاهد القتل..

هل تقرأ على الشهداء الفاتحة، وتقذف ببقايا الذكريات جانباً وتلوم من تلوم.. وترجع إلى دوامة حياتك البائسة... انظر إليهم.. فهم يستمتعون بقتلنا ومحو آثارنا.. إنهم يدمرون قلوبنا، وذكرياتنا، وبيوتنا، ومدارسنا... فهل نحن قادرون على التلاقي من جديد.. هل نحن قادرون على إعادة سيرة الأجداد الذين بنوا الرقة من تراب، ومن رماد، ومن جوع، ومن بؤس، وجعلوها حاضرة يُشار إليها بالبنان.. وتتوجه إليها الطائرات، وقذائف المدفعية، وعصابات ملتحية، وغزاة بلا لحى.. ليمحوا كل ما بناه أهلنا عبر قرن ونصف من الشقاء!

الطائرات البريطانية تنتقم لقتلى مانشستر من أهل الرقة، وتكتب على قذائفها عبارات الثأر لقتلاها من أهل الرقة، ومن مباني مدينة الرقة، ومن ذكريات أهل الرقة.

شركات الإعمار تدفع المال لرامي الصواريخ، ولرامي المدفعية، من أجل أن تكسب مساحات جديدة من الخراب، علّها تكتب عقودها الوهمية على حساب دمائنا.. إنهم يتقاسمون حتى الخراب ويطوّبونه بعقود تمزقنا وتحولنا إلى أشلاء!

انظر إلى الفيديوات المتواردة كل يوم.. دقق فيها جيداً، إنهم يقصفون قلبك، ويكتبون عقوداً لتركيب قلب اصطناعي جديد لك، ويكتبون ذكريات جديدة لمدينتك وهم من سيحرر أسطرها.. وأنت ستبقى بعيداً وممزقاً!

العزم يجمعنا
TOGETHER WE PREVAIL
RIYADH 2017
القمة العربية الإسلامية الأمريكية
riyadhsummit2017.org

قمم الرياض

طارق عبد الغفور

شهدت المنطقة في الأيام الأخيرة نشاطاً إعلامياً غير عادي سببته الزيارة التي وُصفت بالتاريخية التي قام بها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى المنطقة مبتدئاً بالمملكة العربية السعودية والقمم الثلاث التي عُقدت في الرياض السعودية والخليجية والإسلامية.

والزيارة حقاً لم تكن عادية لجهة اللهجة التي استعملها ترامب في حديثه عن الإسلام وعن المملكة التي تضم «أكثر الأماكن قدسيةً في العالم»، وهي لهجة تغاير تلك التي استخدمها أثناء حملته الانتخابية والتي يمكن وصفها بأنها على الأقل لم تكن ودية.

والزيارة لم تكن عادية لجهة بؤس البيان الختامي الذي صدر عنها، والقارئ لهذا البيان لا يمكن إلا أن يلحظ العبارات الفضفاضة التي صيغ بها مثل: «أبدى القادة ارتياحهم لأجواء الحوار الصريح والمثمر التي سادت القمة وما تمّ التوصل إليه من توافق في وجهات النظر والرؤى والتحرك إلى الأمام حيال عدد من القضايا الدولية والإقليمية الراهنة...».

وهذه الإطالة في الاقتباس لتبيان الصيغة العمومية لعبارات البيان المشترك الذي أستطيع أن أجازف بالقول إن الوفد الأمريكي لم يشترك جدّياً في صياغته لأن هذه الروح الهلامية هي التي تسهّل الهروب من مواجهة المشاكل بصدق وشفافية، وهو ما يتميّز به عرب هذا الزمن الرديء، وتلك مشكلة كبيرة، وإن كان قد شارك في صياغته فتلك مشكلة أكبر، ذلك أن هذه العمومية في الصياغة تخلّت عن موقعها فقط عند الحديث عن النشاطات الإيرانية التخريبية في دول الخليج.

وقد أخذت إدانة ورفض المواقف العدائية للنظام الإيراني حيّزاً لا بأس به من البيان، وذُكرت اليمن في معرض العمل مع حكومته الشرعية والتحالف العربي للتصدي لسعي المنظمات الإرهابية لخلق «فراغ سياسي» فيه، ولم تُذكر سوريا ولم يُذكر العراق إلا مرتين في معرض الإشادة بالانتصارات ضد داعش فيهما، والاستعداد لتوفير قوة احتياط للمشاركة بالحرب ضدها في كلا البلدين تُقدر ب 34 الف رجل من 55 دولة. وليست هذه «النكات» هي فقط ما يشير إلى خفة الدم التي يتمتع بها صائغو البيان بل هناك ما هو أكثر دلالة عندما يشير البيان إلى بناء الشراكة الوثيقة بين قادة الدول المجتمعة والولايات المتحدة الأمريكية، وإلى تعهد هؤلاء القادة بمواصلة التنسيق الوثيق مع الولايات المتحدة لتعزيز الشراكة و«تبادل الخبرات».

وليس من كشف المستور أن يكون التركيز على النشاط التخريبي الإيراني قد جاء ليبرر نجاح ترامب في تحقيق أحد شعارات حملته الانتخابية، وهو شعار عليهم أن يدفعوا ثمن حمايتنا لهم، وهاهم يدفعون 460 مليار دولار منها 120 ملياراً ثمن سلاح لن يستخدم ضد إيران وسوف يصبح خردة بعد السنوات العشر، والباقي استثمارات في الولايات المتحدة لخلق الوظائف التي وعد بها ترامب ناخبيه، لا في السودان أو في الصومال أو في جيبوتي أو جزر القمر.

وغرائب القمة التاريخية كثيرة وتطول الإحاطة بها، إلا أننا لا بد وأن نتساءل عن سبب غياب الإشارة الواضحة إلى ما يجري في سوريا في بيانها، هل يعني ذلك أن إدارة ترامب آثرت إغفالها كي لا تلتزم بموقف محدد إلى حين تكوين استراتيجية واضحة يقولون إنها لم تُنجز بعد لتجري بناءً عليها مقاربة الأزمة أمريكياً؟ إذا كان ذلك كذلك فما معنى اعتماد الإدارة لميليشيا صالح مسلم شريكاً في ما تخططه في الشمال السوري رغم اعتراض تركيا الشريك في الناتو؟ وإذا لم يكن ذلك كذلك فماذا يمكن أن يكون؟ ولماذا لم يطلب القادة المجتمعون وغالبيتهم من أنصار الشعب السوري وداعمي ثورته -كما يدّعون- الإشارة إليها في البيان؟ أم أن ما يجري في سوريا ليس من القضايا الإقليمية الراهنة التي تمّ التوافق عليها؟

هذه القمة وهذا البيان في ما احتواه والإشادة بها وبه إنما تعكس حقيقة النخبة الحاكمة العربية المتحكمة في رقاب رعاياها الذين رضوا بأن يكونوا عبيداً لا رعايا وما داموا كذلك وما دمنا كذلك فإن أمورنا لن تسير إلى أمام، فماذا نفعل؟ وهل نأمل في أن تنفعنا مقولة مصطفى كامل الشهيرة لا يأس مع الحياة رغم المستقبل الداكن؟

الرقة بين التحرير والتفريغ

عبد الرحمن مطر

لم تثر مشاهد السوريين الذين شردتهم مقذوفات طائرات التحالف، والهجمات المتبادلة بين داعش وقسد، في الرقة وأريافها، اهتمام وسائل الإعلام في العالم، أو حتى نشطاء الثورة السورية، بالصورة التي انشغل فيها بصور مشردي عين العرب/ كوباني. بلا شك مسألة الأقليات تثير رغائب تضامن خبيثة، بغض النظر عن البعد الإنساني والقانوني لما يتعرض له هؤلاء السكان. لكن معايير المتابعة وتسليط الضوء تختلف جذرياً، ما ينسف حضور الضمير الإنساني، حين يتعلق الأمر بهؤلاء المدنيين العزل أبناء الأرياف .. «الشوايا» الذين اضطهدهم النظام الأسدي طوال نصف قرن، وحرمهم من التنمية، ثم سيطرت على مقدراتهم داعش بالترهيب والنار، وألصق بهم «أقليون قوميون مغرضون» صفة الحاضنة الشعبية لداعش، ثم هاهم يُتركون في العراء، مشردين في البراري، وإما وقوداً في معركة بين طرفين متطرفين محتلَيْن، وإن لم يتساويا في قوة القتل والتهجير واستعباد الناس والجغرافيا، لكن لكل منهما مآثره التي تجعله قريباً من الآخر الى درجة « وجهين لعملة صدئة «.

الحقيقة إن معركة تحرير عين العرب/ كوباني، خضعت لتغطية إعلامية منظمة، جدية ومسؤولة من قبل فريق من النشطاء والإعلاميين الأكراد، نجحوا في عملهم، وتمكنوا من تسويق القضية بشكل ملائم، كما يريدون، وكانت وسائل إعلام الغرب والشرق تتلقف المواد التحريرية والبصرية التي كانت تبث بمهنية عالية. وقد شكلت صور نزوح السكان الكورد، عنواناً بارزاً لقضية إنسانية. لكن ما يجري في الرقة ودير الزور، منذ عامين على الأقل، من استهداف للمدنيين، وتهجيرهم، لم يحظ حتى باهتمام السوريين أنفسهم، بما فيها مؤسسات المعارضة (الائتلاف والحكومة المؤقتة) ثمة تجاهل مثير للقلق، يعكس اللامبالاة والإهمال، والعجز أيضاً.

لقد شكلت عمليات القصف الجوية العشوائية لنظام الأسدية، منذ تحرير الرقة في مارس 2013، استهدافاً منظّماً للمدنيين، في أحيائهم السكنية، في مركز المدينة، كما في كبريات حواضرها وتجمعاتها الحضرية الأساسية. أدى ذلك الى بدء عملية تهجير واسعة لأهالي المدينة، وللمهجرين الى ريف الرقة الشمالي والشرقي منه بصورة خاصة. ثم لم تلبث أن انضمت التنظيمات المسلحة الى عوامل تهجير السكان بسبب السياسات القمعية التي أدارت بها المحافظة، عبر الإجراءات والسلوكيات التي فرضت شروطاً قاسية ومريرة على المجتمع بهدف إخضاعه لسيطرتها، وتمثلت على التوالي بأحرار الشام، وجبهة النصرة، ثم داعش التي ورثتهما ونشرت ظلاميتها على المحافظة ومارست إرهاباً منظماً بحق المدنيين (القتل والخطف) دون أي استثناء، بما فيها انتهاك الحرمات المقدسة.

أدى ذلك بدءاً الى خروج مكثف للنشطاء المدنيين، ومع تصاعد عمليات القصف الجوي للنظام الأسدي، ولقوات التحالف الدولي، وقوات قسد، بدأت مئات الأسر فيما يشبه نزوحاً جماعياً متواتراً مع تكرار استهداف الأحياء السكنية، دون أن يقود ذلك في حقيقة الأمر الى تضرر داعش، أو تفكيك بنيتها التي كانت قابضة على المدينة وأريافها كاملة، بقوة الترهيب والبشاعة الإجرامية طوال أربع سنوات.

تطورات معركة الرقة تبدو بصورتها الراهنة، في ظل اختلال الموازين بين الأطراف المتقاتلة على أرض السوريين، وكأنها تهدف لإحلال قوة احتلال جديدة، تطرد داعش، بحكم سياسة واشنطن بدعم ميليشيا صالح مسلم، ودون الأخذ بمحاذير ذلك على المنطقة.

في جميع المناطق التي نجحت فيها قسد بطرد داعش (أو دفعها لانسحاب شامل وفق تفاوض معها) من بلدان شرق الفرات: جرابلس ومنبج كمثال، احتاجت إلى حملات الجيش الحر لطرد ما يسمى بقوات سوريا الديمقراطية منها.

فيما تزال تجربة السيطرة على شمالي الرقة / تل أبيض وما جاورها، قائمة حتى الآن، ولا تزال بي دي، تمارس سياسات تعسفية كقوة أمر واقع احتلالية، دون حرج منا في التسمية، قامت بتهجير الآلاف، وصادرت ممتلكات كثير من الأهالي بتهمة الدعشنة، فيما لا تزال تمنع عودة المهجرين إلى بيوتهم في سلوك مثالاً. فيما تخضع مخيمات النازحين من الرقة إلى اجراءات الاحتجاز الجماعي.

فيما تبقي قيادات قسد على إضعاف استراتيجي للواء ثوار الرقة من حيث التسليح والدور. وعلى الرغم من انطلاقة معركة

الرقـة، في ظـل رفـض أمـيركي لأي دور إقليمـي، خاصـة تركيـا، يمنـح ميليشـيا صالـح مسـلم دوراً تابعـاً متفـرداً في التحكـم في الأرض والبـشر، دون إشراك حقيقـي لسـكان المنطقـة، عـلى الرغـم مـن إحـداث مجالـس محليـة صوريـة، لا أكـثر. ومـع اشـتداد حـدّة القصـف الجـوي، والقصـف المدفعـي مـن طـرف قسـد، الـذي يدمـر البنـى التحتيـة بشـكل منظـم، ويطـال المدنيـين بشـكل يومـي، تـزداد أعـداد المهجريـن وتتضاعـف معاناتهـم.

هـذه الإشـكاليات تعقـد مـن الموقـف العسـكري والسـياسي معـاً لوضـع الرقـة، فيـما لم يقـدم أي طـرف ضمانـات، أو اهتمامـاً مـا، بحمايـة المدنيـين مـن التهجـير وارتـكاب المجـازر، بمـا يحقـق غايتـين أحلاهـما مـرّ: إمـا تسـليم الرقـة مـن قبـل صالـح مسـلم للنظـام كـما حـدث في مـرات عديـدة آخرهـا كليـة المدفعيـة في حلـب، (حتـى الآن تمنـع واشـنطن النظـام مـن الاقـتراب)، أو أن تبقيهـا تحـت حكـم البـي دي لفـترة وجيـزة يتـم خلالهـا انجـاز تغيـير ديمغـرافي تعمـل عـلى تحقيقـه أطـراف كرديـة.. لا تجـد معارضـة مبـاشرة مـن أطـراف إقليميـة ودوليـة مثـل روسـيا وإيـران والولايـات المتحـدة، لأهـداف ومصالـح يسـتخدم فيهـا الكـورد – كـما غيرهـم - لمرحلـة مؤقتـة.

مسـألة طـرد داعـش مـن الرقـة، أضحـت قـاب قـوسي او أدنى، ليـس بفضـل المعـارك التـي خاضتهـا قسـد، وكـما هـو معـروف أنهـا لم تتمكـن مـن التقـدم قيـد أنملـة دون دعـم عسـكري مبـاشر مـن قـوات التحالـف، وأن التفـاوض والاتفـاق مـع داعـش بالانسـحاب وفتـح ممـرات إخـلاء آمنـة لهـا، وعمليـات القصـف الجهنمـي خـلال الأيـام الأخـيرة، هـو مـا قـاد اليـوم الى تفتـت داعـش في الرقـة، وانهيـار سـلطتها، وبالتـالي خروجهـا.

ليسـت لدينـا، أيـة مشـكلة مـع القـوى التـي تشـارك في طـرد داعـش والقضـاء عليهـا. ولكـن مشـكلتنا في أن قسـد، بقيـادة الارهـابي صالـح مسـلم، قامـت بارتـكاب جرائـم حـرب ضـد المدنيـين السـوريين، منـذ بـدء عمليـة غضـب الفـرات، وأضحـى ذلـك سـلوكاً يخـدم أهدافهـا في إفـراغ المنطقـة – مـا أمكـن مـن سـكانها العـرب، وإحـلال أكـراد قادمـين مـن مناطـق أخـرى، والاسـتيلاء عـلى امـلاك الغـير بالقـوة، ومنـع عـودة المهجريـن، وفـرض مجالـس محليـة جـلّ أعضائهـا مـن خـارج الرقـة، ومـن خـارج صفـوف الثـورة.

الأهميـة اليـوم لطـرد داعـش، وفي الغـد أي قـوة سـتعمل عـلى فـرض إجـراءات بقـوة الأمـر الواقـع، لـن يُقبـل بهـا، وهـي قـوة احتـلال.. لـن تـدوم طويـلاً، والمصالـح الإقليميـة مـع الولايـات المتحـدة سـوف تاخـذ سـياقها الطبيعـي / اسـتراتيجياً، وسـوف يجـد صالـح مسـلم نفسـه خـارج الخدمـة قريبـاً.

قصر الأموات

شريف صالح ـ مصر

هبطنا من الباص السياحي أمام بوابة عملاقة. كانت منقوشة بزخارف عتيقة وتواريخ وأسماء باللغة الفارسية.

أشار الدليل: هذا هو القصر!

ثم مضى أمامنا بخفة جرو.

تأملت طريق الأشجار الصاعد أمامنا. كانت أشجار عملاقة طويلة تتعانق من أعلى لتشكل قوساً ممتداً بالكاد تتسلل منه أشعة الشمس في الصباح. تبدو الأشجار التي لا أعرف اسمها، كأنها في هذا العناق منذ عشرات السنين. غير مبالية بآلاف السياح الذين جاءوا وذهبوا، ومروا أسفل منها.

كان القصر الأبيض في نهاية طريق فرعي ناحية اليمين. وكنتُ أشعر برهبة غير مبررة. خوف غامض ينتابني من زيارة قصور الأموات هذه. ربما لهذا السبب يعتاد السياح أن يزورها في أفواج صغيرة. يحتمون ببعضهم البعض. ربما أبالغ قليلاً، فالناس كانوا يدخلون ويخرجون أمامنا بألفة وهم يلتقطون لأنفسهم الصور التذكارية وابتسامة كبيرة تملأ وجوههم. معظمهم كانوا مشغولين بتوثيق صور لأنفسهم داخل القصر وليس خارجه، وكأنهم يرغبون في الإيحاء بأنهم من سكانه الذين عاشوا فيه. لقطات على السلالم الرخامية العريضة بعروقها الصفراء الشبحية.. لقطات في البهو الرئيسي وأخرى أسفل لوحة زيتية عملاقة لصورة برنسيسة شاحبة وحزينة، كانت تضع يدها على خدها.

من سيفكر في سبب حزنها أو حتى في مصير الرسام الذي أفنى الليالي في رسم ملامحها قبل أكثر من تسعين عاماً.. أو ما المكافأة التي قد تكون منحتها له مقابل رسم وجهها؟!

زملائي في الفوج السياحي انشغلوا هم أيضاً بالتقاط صور لبعضهم البعض بجوار رأس أسد ومنحوتة فارس برونزي فوق حصانه.. كانوا يخفون نصف وجوههم خلف الأواني الفضية أو يلتقطون انعكاس وجوههم على المرايا والألواح الزجاجية.. أحد الزملاء سأل الحارس الذي كان يجلس خارج الباب الرئيسي، إن كان يحق له الاسترخاء على تلك الأريكة لالتقاط صورة. لا أعرف لماذا كنت الوحيد بينهم الذي تجنب بشدة التقاط أي صورة له؟! كنتُ أشعر بأطياف سكان القصر وهي تتحرك حولنا.. أنفاسهم.. أصواتهم.. ظلال أجسادهم وهي تسبقنا وتصعد السلالم إلى الطابق العلوي قبلنا.. أسمع همسهم وهم منزعجون من بلاهتنا وتلصصنا عليهم.. لوهلة لمحت البرنسيسة الشابة في لوحتها العملاقة وهي تبتسم وتغمز لي كأنها تغويني بالتقاط صورة بالقرب منها.

غادرت مسرعاً تحت وطأة دوخة خفيفة وانتظرت زملائي على مقعد في الحديقة المواجهة لباب القصر الرئيسي. كان الجو الخريفي قد انقلب فجأة إلى زخات من المطر فاحتميت بتعريشة أمام القصر، وعندما وصلوا إليّ انتبهت أنني فقدت الزر الأوسط من الجاكت الذي أهدته لي أمي في عيد ميلادي. استأذنتهم وعدت للبحث عنه في ردهات القصر متتبعاً نفس الممرات التي سرت فيها. لا بد أنه سقط مني أثناء جولتي في الداخل.

في هذه المرة دخلت مندفعاً وليس في رأسي سوى العثور على الزر واللحاق بالفوج، وكان الدليل يراقبني من بعيد ويستعجلني بإشارات يده. ما إن وضعت قدمي عند مدخل الردهة حتى شعرت بالرعب. لم يكن هناك أي زائر في القصر سواي. اختفى السياح جميعاً بكاميراتهم وضجيجهم وأحاديثهم التي تترك صدى مبتوراً في ممرات القصر.. لا أحد سواي هنا وسط الأطياف التي رأيتها أكثر وضوحاً عن ذي قبل. كانت تسير وتمارس حياتها الطبيعية دون أن تبالي بي. من يسكن في قصر مثل هذا لن يتخلى عنه بسهولة، حتى بعد الموت! رغم ذلك استجمعت شجاعتي. لا قوة على الأرض ستمنعني من العثور على الزر الذي فقدته. جريت مسرعاً بين أكثر من ردهة، أمام المكتب الرئيسي وصالة الطعام والبهو الواسع وقاعة المناسبات والمكتب الرسمي لصاحب القصر. لكن الخوف الذي ضاعف نبضات قلبي كان يمنعني من رؤية الزر المفقود. وقبل أن أعود مرة أخرى في اتجاه المدخل الرئيسي رأيت البرنسيسة الشاحبة تغادر لوحتها الزيتية وتسير أمامي. وبألفة وبساطة مدت يدها الناعمة والتقطت لي الزر من جوار مزهرية عليها نقوش صينية. ثم التفتت نحوي وابتسمت.

وقفت مذهولاً وهي تقترب مني. خلعت الجاكت عني وبدأت في رتق الزر وهي واقفة أمامي. كانت تحرك أصابعها الرقيقة كخياطة متمرسة، قبل أن تجذب الخيط بجانب فمها وتقطعه.

بالألفة ذاتها التي نلتقط بها صورنا التذكارية في القصور العتيقة، ساعدتني البرنسيسة الحزينة في ارتداء الجاكت وناولتني برتقالة. ثم ابتسمت لي للمرة الأخيرة قبل أن تعود إلى اللوحة التي كانت تحمل توقيع الرسام الإيطالي فرانشيسكو هايز. ولا أدري لماذا ظللت أردد اسم فرانشيسكو هايز في سري!

قبو صديقتي

نجاة عبد الصمد

قبو صديقتي وطنٌ لها. وطنٌ وحيد.

تشتغل صديقتي من الصبح الواعد إلى العصرية الملولة إلى الليل اللامنتهي بحياكة الأحلام. تحلم وهي تنظّف قبوها، فتجلو عن أرضه وجدرانه الأوساخ والذكريات العاصية، وتبدّد عتمته بكلّ الرؤى المطيعة. تحلم فترسم على المفارش وطناً لعصافير لجأت إلى كفّيها من مدنٍ منكوبة، أو تحوك أغطيةً لوسائد الليل؛ ليل النساء الوحيدات الحالمات. تحوك كنزةً تدرأ برد الروح، وشالاً يسافر إلى وجوه كل الأحبة الذين لم تعد تعرف أين صاروا منذ أن أعادها طليقها إلى بيت أهلها، وأنزلها أهلها إلى هذا القبو، وأغلقوا بابه على استنكارها حين حاولت أن تحكي لهم لماذا أعادها، وعلى ندائها حين صرخت تطلب الرحمة.

تبيع ما حاكته وتعاود الكرّة بخيطان جديدة.. تحلم فتقرأ جبران وطاغور وباولو كويللو وأحلام مستغانمي، تتنقّل بينهم كغزال مجروحٍ ومنبوذ. تغفو فوق قصائد نزار، تصير سمراءَهُ وشامه وأندلسه، وعشقه لكل ما لا يُطال. تحلم فتستحضر وسامة بيل كلينتون ورشاقة روماريو وشجن عبد الحليم حافظ، بهم تُوقد لجمر الرغبات وتنسجهم فيما بعد بخيطان الكركر السهران معها حتى مطلع الفجر.

حين تتعب، تتسلّى بتصفيف زينة الطاولة في زاوية القبو: بضعة أحجار من الشطرنج رماها ابن أخيها في الزبالة فانتشلتها منها: (لا يليق بجنود لعبة الأذكياء أن يُدفنوا في الزبالة) تقول صديقتي، وتشرح لي كيف تدسّ بينها حجري نرد (رمز لعبتها النبيلة مع الحظ المرابي)...

سقف غرفتها (القبو) أعلى من الأرض بسبعين سنتمتراً. سبعون سنتمتراً تكفي لينفتح فيها شبّاكان تُطلق منهما سبعين مرسالاً إلى جهات الأرض الست، وتزرع أمامهما الحبق والقرنفل...

تنتظرني ـ أنا صديقتها ـ بفرحة لقاء الصاحب الذي لم يغرّد مع سرب الهاجرين منذ أصبحت مطلّقةً على الحياة أن تنساها، وعلى أهلها أن يذمّوها، وعلى أبنائها أن يَنكُروا الرحم الذي منه خرجوا.

يمدّها أخوها بمصروفٍ أسبوعيّ كل سبت، فتعيده إليه وتعود إلى خيطانها. تقول: نفسي هي الغنيّة، وهم رعاة الفقر. تقول لي سنشمّ عبق القهوة أولاً قبل أن نشربها معاً، وسأطعمك مما طبختُ، وأحوك بيتاً للموبايل الذي تحملين، فأنا لا موبايل عندي، ولا هاتف. تقول: لا يزورني أحد. ليت جيراني يرونك في بيتي ليعرفوا أنني أستحقّ أن يزورني أُنسيّ.

تقول: أخبّئ من مصروفي لأشتري الكتب، أندم على كل ما لم أقرأ، لو كنت أقوى لما قدر ابن الكلب أن يفتري عليّ، ويطردني كذبابةٍ من بيته، ويستبدلني بعروسٍ جميلة وصغيرة، لكنتُ أكملتُ تعليمي واشتغلتُ وما التوى ذراعي أمام أهلي وطليقي وأبنائي...

تقول: سأثمل بزيارتك هذه لعشرة أيام قادمة، لا تتأخري عليّ أكثر، هاتي معك أخبار الحرب في الخارج، كانت تنقصنا هذه الحرب ليكمل أهلي نسياني. لم يتركوا لي هنا سوى تلفزيون قديم بأنتينٍ داخلي لا يجذب من المحطات سوى محطتين سوريتين. أشاهده كل يومٍ وأسأل نفسي: ما سرُّ هذه العصابات المسلحة الهائلة التي يقتلون كل يومٍ جماعاتٍ منها فتولد جماعاتٌ جديدةٌ أكثر عناداً؟! أنا لا تشغلني أخبار الحرب كثيراً؛ أنا أشتاق لأخبار أولادي. لو رأيتِهم؛ طمئنيهم فقط أنني بخير، ولا تقولي أكثر... أشتاق أيضاً لأخبار الناس، أخبار الأعراس وأعياد الميلاد وحفلات التخرج، وأشتاق كثيراً للنمائم المجلجلة!

تقول لي: أحب أن أحكي وأن تكتبي عني فالكاتب قريب من الله، وأنا امرأة وحيدة... أغادر قبو صديقتي وفي يدي قطفة حبق، وقرنفلة حمراء جاءتني بها من شباكها المزهر. أخرج من سياج الزمن الذي تسمّرت حياتها على عتباته، ويبقى من حضورها في خاطري وجهُ سوريا، سوريا الوحيدة التي تحوك الآن بيديها، تحت سقف أنقاضها، أيامَها القادمة...

مرياع وأعمى..!

يوسف دعيس

العالم يمور بالتناقضات العجيبة، وما تتناقله وكالات الأنباء العالمية من أخبار أكثر عجباً، ومثار حيرة وجدل، خصوصاً الأخبار التي تتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، والتي تؤكد أن الأحداث القادمة لا تبشر بالخير، رغم تصريحات الرئيس الفرنسي الجديد فيما يتعلق بتهديده للنظام السوري إن استخدم الكيماوي مجدداً، ورغم التقارب في وجهات النظر بين مصر السيسي وروسيا بوتين، ورغم تصريحات وزير الدفاع الأمريكي التي يهدد فيها إيران، ورغم الأخبار غير المؤكدة عن دعم قطر لحزب الله، ورغم التقارب المعلن بين قطر وإيران، وغير المعلن بين الإمارات وإيران، ورغم زيارة الأمير محمد بن سلمان لروسيا، والتي بحث خلالها سبل التعاون المشترك، وملفات المنطقة، وعلى رأسها المسألة السورية، ورغم القصف المتكرر لقوات التحالف العربي لليمن، والتحالف الدولي لمناطق سوريا، ورغم زيارة بعض فناني مصر لسورية، التي يمثلها النظام المجرم.

رغم كل ذلك ما زال العالم أعور بكل شيء، والرأي العام والشعوب العربية والغربية، مثل القطيع الذي يسير وراء مرياعه الذي يمثله قادة حاروا في كيفية قيادة العالم، وهم أعجز عن قيادة أنفسهم، فما معنى أن يطلق الرئيس الفرنسي ماكرون تهديده أمام الكيماوي، ويجيز القتل بالسكين والساطور والمعتقل والبرميل المتفجر والصاروخ والمدفع، وما معنى أن تقبل إلهام شاهين جبين الأسد المجرم، والتي كان من المفترض أن تكون هي ومن رافقها بهذه الزيارة المشؤومة ضمير الناس، وتحديداً المظلومين والمسحوقين والمهمشين، وما معنى أن يرسل مركز سلمان الإغاثي علاجاً لوباء الكوليرا الذي ضرب اليمن، وفي الوقت ذاته يشعل هو والحوثيون وأتباع المخلوع حرباً تأكل الأخضر واليابس، وما معنى أن يضرب السيسي بؤر الإرهاب في ليبيا، ويعجز عن حل مشاكله الداخلية، وما معنى أن تحاول قطر قيادة العالم، وسلاحها النووي قناة إخبارية تغرد خارج سرب الحرية والديمقراطية.

المشكلة أن التجليات العميقة لمعنى هذا الألم يتجلى في عنوان رئيس هو القتل سبيلاً للحفاظ على المصالح، حفاظاً على الوجود الأعمى الذي لا يرى الدماء ولا الأشلاء، الوجود الذي يصنع المأساة ويتهافت متسارعاً للدفاع عن حقوق الإنسان، ومساعدة اللاجئين، وإغاثة النازحين والمتضررين، ومعالجة المرضى، والقضاء على الأوبئة، وتركيب أطراف للذين أصابتهم الألغام التي نصبوها بأنفسهم والقذائف التي قصفوا فيها القاصي والداني، في صورة تعكس المثل الشعبي: «يقتل القتيل ويمشي بجنازته».

المشكلة ليست فينا نحن المتضررين من هذه الأحداث التي لا تبقي ولا تذر، ولا في قادة المنطقة، المشكلة في الشعوب التي ما زالت تسير قطعاناً خلف مرياعها الأعمى، الذي ما زالت أجراسه تدق معلنة عن قدوم القتل من كل الجهات، وما زالت تصدق أن العالم المتحضر يقوم بمحاربة الإرهاب، ولا ضرر إن كان زواله مشروطاً بزوال أهل اليمن والشام وليبيا معهم.

بوح السنديان..

للشاعر صالح الحاج

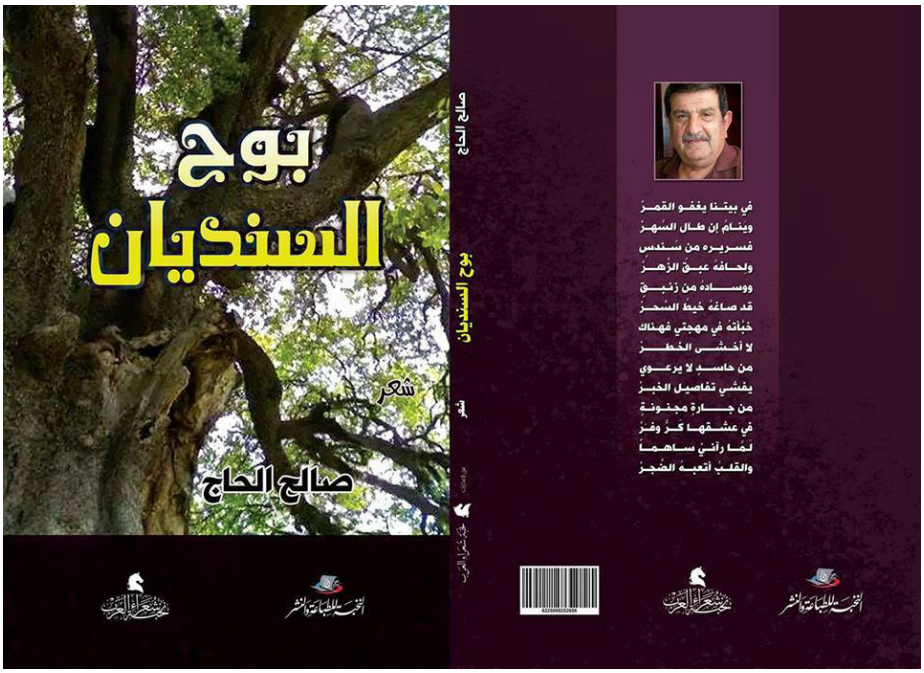

صدر للشاعر صالح الحاج ديوان جديد حمل عنوان «بوح السنديان» عن دار النخبة للطباعة والنشر، وهو الديوان الثاني في سجله الإبداعي، وكان أصدر سابقاً كتابه الشعري الأول والذي حمل عنوان: «أوراق لخريف العمر»، وله في الشعر الشعبي ديوان آخر حمل عنوان «روّيني يا فرات».

والشاعر صالح الحاج من مدينة الرقة السورية، عمل في مجال التعليم في عدد من مدارس الرقة، ويعمل حالياً مدرساً للغة العربية في المملكة العربية السعودية.

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete

SAYI: 62 YIL: 3 (2017)

İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED

BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

FB.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa